إنهُ مُقتحمٌ كلَّ عذابْ كاشفٌ عن اعينِ الجهل النقاب
وغدًا في موقفِ الحشر المهابْ سيُجازى كلُّ باغٍ بالعقابْ
ويجازى مُرسلٌ بالنصرةِ
يا رسولَ اللهِ سرْ مبتهلا وَدَعِ الجاهلَ إذْ قد عَذَلا
سوفَ تلقى في السماء البَدَلا من شقاء ذقتهُ بينَ الملا
فتعيشَ الدهرَ عيشَ الغبطةِ

ميمر في صحة الدين المسيحيّ

للاب الفاضل والفيلسوف الكامل ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان

عُني بنشرهِ حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي المخلّصي

توطئة

* تعريف المؤلف * انَّ لثاودوروس ابي قرة (ويروى ابو قارة) مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين فيعتبرونهُ كاعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنَّفات الجدلية والابحاث الدينية بحيث تراهم يتَّخذونهُ كحجَّة في تفنيد مزاعم المبتدعين. ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشان لا نكاد نعرف شيئاً من ترجمتهِ والمرجَّح انهُ عاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وفي اوائل التاسع والمرجَّح انهُ عرف القديس يوحنَّا الدمشقيّ وما لا ريب فيهِ انَّ ثاودوروس تأثَّر اعقاب ذاك القديس العظيم والكاتب البارع وجاراهُ في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمنوثليتيَّة بردُّ عليها بالبراهين العقليَّة والادلَّة الوضعية وربَّما جعل تفنيدهُ على طريقة المباحثة بين الارثدكسيّ والمبتدع فيكون الجواب ارسخ في عقول المؤمنين. ويؤيد قولنا في زمن ابي قرَّة انهُ املى بعض مقالاتهِ على توما اسقف اورشليم الذي عاش في اواخر القرن الثامن وكان جالساً على كرسيّ اورشليم سنة ٨٠٧. وعمَّر ابو قرَّة الى عهد المأمون الذي تولَّى الامر من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مسيحيَّة والدليل على ذلك ان في مكتبة باريس وغيرها نسخاً من جدال دينيّ جرى لهُ في حضرة المأمون

ومما يستفاد من مقدَّمة كتاباتهِ انهُ كان اسقفاً على حرّان المدينة الشهيرة المجاورة للرُّها. وقد نكر البعض ذلك وقالوا انهُ كان اسقفاً على « قارة » وهي مدينة في فلسطين في عبر الاردن وقيل انَّ قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق. والله اعلم

ومن الاوهام الشائعة في حقّ ثاودوروس ابي قرة انهُ كان اسقفاً على بلاد كارية من اعمال ثراقية . والصواب انّ ثاودوروس اسقف كارية كان بعد ثاودوروس ابي قرة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوطيوس بطريرك القسطنطينيّة وناقضهُ في عصيانه على الكرسيّ الرسوليّ

امّا تآليف ثاودوروس ابي قرة المعروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوّلة أُدرجت في اعمال الاباء اليونان لمين في المجلّد ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ الى ١٦١٠ واوّل من نشر هذه الآثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها الى اللاتينية الابوان توريانوس اليسوعي وجنبرّد البندكتيّ

ولم يتفق الكتبة على اللغة التي صنّف بها ثاودوروس ابو قرة تآليفهُ أهي اليونانية ام العربية . والراي الارجح انهُ كتب في العربية والسريانيّة ثم نُقلت مصنّفاتهُ الى اليونانية كما يظهر من مقدّمة مقالتهِ الرابعة وفيها يقال انّ ثاودوروس أملاها بالعربية على توما اسقف اورشليم (ἀπαγορευθείσα Ἀραβιστί) ثم نقلها الى اليونانية ميخائيل الكاهن سنكلُوس اي قيّم كنيسة اورشليم . وعليهِ فتكون كتابات ثاودوروس من اقدم آثار النصرانيّة في اللغة العربية . امّا كونهُ كتب في السريانيّة فقد بيّنهُ في احدى مقالاتهِ غير المطبوعة

وقد قابلنا المقالة التي باشر حضرة الاب الحوري قسطنطين باشا نشرها في المشرق لعلّنا نجد لها اثرًا بين اعمال ثاودوروس باليونانية فلم نعثر على شيء منها . فتزيد بذلك قيمتها لدى العلماء . ولعلّ النسخة التي وصفها حضرة الاب هي المنقولة عن النسخة الاصليّة التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلّد الثاني ص ٢٩٣ في الحاشية) وقال انهُ اطلعهُ عليها في صيداء السيّد افتيموس الصيفيّ اسقف الروم الملكيين الشهير ل . ش

✻ تعريف الكتاب وناسخه ✻ هذا الميمر من كتاب مخطوط وجدتُهُ في مكتبة دير المخلص وقد علّق عليهِ ناسخهُ قبل هذا الميمر ما حرفهُ : « حاشية لكاتبه المطران باسيليوس . اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السبق بقرب اورشليم التي هي النسخة الاصلية للكتاب التي كُتبت عليها هذه النسخة » . ثم : « وكان كتابته في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيدا في جبل الدروز »

وجاء في آخر الكتاب : « وكان النجاز من نساخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٥ لتجسد المسيح ربنا » . ثم : « كُتب يد الحقير المطران باسيليوس فينان عن كتاب أُسْختهُ قديمة منسوخة عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السبق بمعاملة القدس الشريف . ولذلك لمّا وجدنا فيهِ بعض كلمات ممحيّة من عتقهِ ابقينا موضعها بياضاً لعلنا نجد لهُ نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق . وايضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لابينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخا هذا الكتاب عنها ٦٨٤ » ومن ثم يُعرف قدر هذا الكتاب وانهُ من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربية بل من اقدمها عهداً عند كتّاب النصارى وخصوصاً الملكيين منهم . واهمُّ من ذلك عدم تداولهِ بايدي النسّاخ وسلامته من التحريف ولا حاجة الى التنبيه الى قوة براهينه اللاهوتية ورشاقة اساليبه العربية ومتانة تراكيبه مع الشواهد

الصريحة على رئاسة بطرس الرسول وخلفائهِ الاحبار الرومانيين. والكتاب المذكور جمع تسع مقالات طويلة «يدعوها» ميامر والميمر لفظة سريانيَّة (ܡܐܡܪܐ) معناها الكلام والرسالة المطوَّلة

(الاوَّل) يحقق للانسان ارادة حرَّة ثابتة من الله في خليقته وان حرية الانسان لا يدخل عليها القهر من وجهٍ من الوجوه البتة

(الثاني) يحقق انهُ لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثة الهة اذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس اله وان الاب والابن وروح القدس اله واحد ولو كان كل واحد منهم تامًّا على حدتهِ

(الثالث) في موت المسيح. وانَّا اذا قلنا ان المسيح مات عنّا انما نقول ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذي مات عنَّا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسانية. وكيف يعقل هذا الموت. وانهُ يحسن ان يقال على الابن الازلي في الجهة التي تقوله عليهِ الارثوذكسية

(الرابع) في تحقيق الانجيل وان كلا لا يحققهُ الانجيل فهو باطل

(الخامس) على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الازلي

(السادس) في انهُ لا يُغفر لاحد خطية الَّا باوجاع المسيح التي حلَّت بهِ في شان الناس. وان من لا يؤمن بهذه الاوجاع ويقرّبها للاب عن ذنوبه فلا مغفرة لهُ ابدًا

(السابع) في الردّ على من ينكر فيه التجسد والحلول فيما احب ان يحل فيهِ. (وهو متقطع لنقص النسخة الاصلية التي اكلها العث لقدم عهدها كما اشار الناسخ)

(الثامن) يحقق ان لله ابنًا هو عِدْلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ

وبعد هذا رسالة مطوّلة وهي «جواب مسألة كتبها الى صديق لهُ كان يعقوبيًّا فصار ارثوذكسيًّا عند رده عليهِ الجواب» ثم يلي هذا الميمر الذي نحن على وشك نشرهِ وهو الاخير

وقد وجدت نسخة من المحاورة التي جرت بحضرة المأمون بين ابي قرة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من اولها وفيها اغلاط كثيرة ادخلها النساخ لكثرة تداول الايدي بها. وفي مكتبة باريس يوجد منها اكثر من نسخة

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي الى القرن الخامس والعشر في مكتبة دير المخلص لكنهُ ناقص من اولهِ اشار اليهِ جامعه بقوله: «... من قول ثاودورس اسقف حران المعروف بابي قارة ثم وجدت في مجموعة للمطران افتيموس الصيفي كتبها بخط يده المباركة يدعو بها الاساقفة الشرقيين الى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق والانقسام قسمًا كبيرًا من هذا الميمر نفسهِ يستشهد بهِ على عدم صحة دعوى الذين ينتحلون النصرانية ظاهرًا وهم لا يدينون باطنًا بحقيقة دين المسيح ويخالفون الخلكيدونيين اي الملكيين

واما الناسخ فقد وجدت عنهُ في سجل رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتيموس الصيفي الذي انشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي: «الثاني والعشرون الخوري مخائيل فينان من يافا نذر الرهبنة وارتسم كاهنًا من يد معلمهِ المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطرانًا على كرسي بانياس من يد ابرهيم وَرَتَبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الياس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت

الروم (١ باس الامير حيدر شهاب ودعي باسيليوس وذلك اوّل سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية الجبل (لبنان) وبر صيدا عدا المدينة لانها بقيت الى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق. واذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما بعد عرض ذلك الى رومية فاتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة. وخدم الرعية بكل حرية وكان رجلًا شهماً بطلًا وماهرًا في صناعة الموسيقا اليونانية اي البسلطيكا. وربّى ثلاثة تلاميذ ماهرين بها وهم القس يواكيم ربع مدّ من قرية برثه والقس نعمة فرحات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (وهذا الذي رسمهُ اسقفاً على زحلة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٣) وتوفي في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني امام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وقت القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منهُ في غير هذا المحل انهُ كان من الاساقفة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القس سرافيم طاناس (٢ ورسموه في دمشق في الكنيسة المريمية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل ان رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سافستروس القبرصي الاجنبي وارسلهُ الى دمشق بطريركاً بل قل اجيرًا ودخيلًا وكان مقيماً في دير المخلص مؤازرًا للبطريرك المذكور. وكان هو الراسم للرهبان. وكان في عداد الاساقفة في مجمع دير المخلص الاول الذي عقدهُ البطريرك المذكور في اتحاد الرهبانية المخلصية والشويرية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقدهُ البطريرك المذكور سنة ١٧٥١ ق ب

ميمر في تحقيق ناموس موسى المقدس والانبياء الذين تنبأوا على المسيح والانجيل الطاهر الذي نقلهُ الى الامم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس الى الخلكيدونية وإبطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة وضعهُ المعلّم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودوروس اسقف حرّان

١

ان الله تراءى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و٣) فانتخبهُ ان يشترع ديناً لبني اسرائيل وامرهُ ان يشخص الى فرعون ملك مصر وان ينقذهم من

١) وسبب ذلك انَّ البطريرك اثناسيوس الدباس الذي كان قد رجع في ذلك العهد من القسطنطينية عن معتقده الكاثوليكي الذي كان قد اعلنهُ مرارًا لم يقبل منهُ الرسامة وفضل عليهِ الاساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة مماً جعلهُ بعد ذلك في شكّ من رسامتهِ

٢) من هنا يُعلم ان سرافيم طاناس كان قسّاً لمَّا انتُخب للبطريركيَّة لا مطرانًا كما روى ذلك القس مخائيل بريك في حكاية خرافيَّة عن رسامته مطرانًا لقيسارية الكبادوك

يديهِ وان موسى استعفى الله من البعثة متعلّلاً وتأتّى عليهِ الخوف استعظاماً للامر الذي اراد افرادَهُ لهُ. وقال لله: مَن انا حتى آتي فرعون واخلّص امّتك من يديهِ. فقال لهُ الله: انا اساعدك واشدّد كلامك. ولكن انطلقْ حتى تجمع مشيخة بني اسرائيل فتقول لهم: انَّ الرب اله ابائكم ارسلني. اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني اليكم. فقال موسى: لو قد اتيتُ بني اسرائيل فقلتُ لهم انَّ اله ابائكم ارسلني اليكم فقالوا لي ما اسمهُ ماذا اقول لهم؟ فقال لهُ الله: قل لهم الذي لم يزل بعثني اليكم. وقال الله: انا الذي لم ازل وانا اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب. ثم قال موسى لله: عُدَّ اني اتيتُهم فانبأتهم بهذا القول عنك فانهم يقولون لي انك مُبطل لم يتراءَ (كذا) الله لك فماذا اقول لهم؟ حينئذٍ قال لهُ: ايُّ شيء هذا الذي بيدك؟ فقال لهُ موسى: عصاً. فقال الله لهُ: ارمِ بها على الارض فرمى بها على الارض فتحوّلت ثعباناً فراعت موسى وجعل يفرُّ منها. فقال الله لهُ: تناولهُ بذَنبهِ. فتناولهُ بالذنب فعاد الثعبان عصاً. ثم قال لهُ الله: أدخل يدك في رُدْنك. فأدخلها فاذا هي قد برصت برصاً يَقَقاً ناصعاً كالثلج. فقال لهُ الله: أعِدْها الى ردنك. فردَّها ثم اخرجها فاذا هي قد رجعت الى لون بَشرته. وقال لهُ الله: ان آمن بني اسرائيل بالآية الاولى كان بهِ والّا آمنوا بالآية الثانية وان لم يؤمنوا بالآية الثانية فانشف من ماء النهر(١ وأهرقهُ على الارض فانهُ سيتحوّل دماً ليؤمنوا ان الله اله ابائهم بعثك اليهم. فلمّا اعطاه قوّة الاعاجيب رضي بالسير ان ينبعث الى مصر

فمن هنا يستدلُّ أولو الالباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطاً في النظر فيهِ لن يقبلهُ من واضعهِ الّا بالاعاجيب لان موسى قد كان يعلم انهُ لو ذهب يدّعي ان الله بعثهُ ليشترع ديناً بلا برهان يأتي بهِ على نفسه من اعاجيب يعملها لا يقدر احد ان يعمل مثلها الّا مَن أيده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزبره (٢ وان يردّ عليهِ قوله ويحقره ويصدّ عنهُ. لكنَّهُ علم انهُ اذا كان مُدلًى بقوّة الاعاجيب فقد اتخذ اداة قويّة يرمي بها من كان ذا نية يرتاد لنفسهِ خيرًا ويقوده الى الدخول فيما يضع لهُ من عبادة الله. وكذلك ينبغي لكل ذي لبٍّ الّا يقبل ديناً ليس اساسهُ على الاعاجيب الالهية التي هي برهان على تحقيق الآتي بهِ انهُ من الله. فمن قبل الدين على غير هذا

١) نشف الماء من الغدير استقاهُ

٢) زبرهُ باللغة انتهرهُ. و« قد » رابطة جواب لو. وهي كثيرة في كلامهِ

الاساس فقد فرّط وترك الحزم في الامر الذي لم يُخلق الحزمُ في الانسان الّا لهُ و بذل نفسهُ للتلف واسترخى لمن يجتذبهُ الى الهلاك ويختلجهُ عن السبيل المؤدي الى السعادة التي اليها وحدها تتوق العقول

فمن قبل الدين الذي اتى بهِ موسى فقد رُشد لانَّ موسى انَّما حقَّق نبوتهُ ورسالتهُ من الله بعمل الاعاجيب التي لا تُصنع الّا بقوَّة الله . وحيث اتى الذين قبلوه بالغيب وقصَّ عليهم كيف خلق الله السماء والارض وانبأهم بما كان قبلهم ممَّا لم تكن تدركهُ عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع بهِ وتصديقهُ . لانَّ الله لن يقوّي على عمل الاعاجيب الّا من كان ساعياً في موافقتهِ ويدعو الى رشدهِ وهداه

وكذلك المسيح الهنا الحكمة الحقّ لم يبدأ بشيء من التعليم حتى اظهر قوَّتهُ الالهية بالاعاجيب وقرَّب اليهِ من كان مبتلًى في انواع الاسقام والامراض المزلة المعذّبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل . فلمَّا كان ذلك منهُ دنت اليهِ الجموع من الجليل واورشليم وكُوَر الاردن . فلما رأى الجموع حولهُ دعا تلاميذه اليهِ ففتح فاه وعلمهم وقال : طوبى للمساكين بالروح فان ملكوت السماء لهم . ثم تلا عليهم تعليمهُ واشترع لهم ناموسه الاول فاول . واخذ بشكل موسى . ولم يزل يخلط عجباً بناموس وناموساً بعجب حتى قضى تدبيره كلهُ وصُلب ودُفن وقام لليوم الثالث . فمن اتبع المسيح لعجائبهِ التي لا تُحصى فقد رُشد وقويت حجَّتهُ كما قويت حجة الذين قبلوا موسى لِمَا عمل من الاعاجيب

واذا قرنت الامرين كان هذا الآخر اقوى من الاول . وان كان كلاهما قويين لان اعاجيب المسيح لا تحصى ولا تُعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الاعاجيب مباشرةً بل اعطى تلاميذهُ سلطانًا ان يعملوها باسمه . فامَّا موسى فانهُ عمل اعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوَّة نفسه ولكن بقوَّة الله وامرهِ او بالابتهال لهُ ولم يدعُ موسى احدًا قط فقال لهُ : انطلقْ فاعمل الاعاجيب باسمي . وبحقّ كان كل ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح إله وابن إله وكان قادرًا ان يعمل بقوة نفسه الاعاجيب وان يقوّي من احب على ان يعمل مثلها باسمه . فامَّا موسى فانما كان عبدًا مأمورًا وكانت قوته على عمل الاعاجيب ليست لنفسه وانما كانت لله . فلذلك لم يكن يعمل عجباً حتى يُوعَز اليهِ من الله ان يعملهُ او يبتهل اليهِ فيأذن لهُ في عمله . وكما ان

موسى كان يعمل الاعاجيب بقوة الله وامره والابتهال اليهِ كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الاعاجيب لا باسم الله لكن باسم المسيح وقوّتهِ وامرهِ والابتهال اليهِ. والتلاميذ في عمل الاعاجيب اقوى من موسى كثيرًا لانَّ موسى انَّما كان يوعز اليهِ او يبتهل قبل ان يعمل العجب امَّا التلاميذ فان اكثر اعاجيبهم كانت بلا تضرُّع. ولم يكن اكثر من ان يقولوا «باسم المسيح ليقُم هذا الميت» او «ليفتح هذا الاعمى عينيهِ» او «ليصحّ هذا المقعد» فكان يكون كما يقولون. ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظلُّهُ لم يكن يسقط ظلهُ على مريض الَّا شفاهُ (اعمال ٥: ١٥) ومار بولس قد كان توخذ لفافتهُ فتوضع على المرضى فيأتيهم البرء

وبهؤلاء التلاميذ تحقق كلام داود حيث يقول: «ان الرب يعطي المبشرين كلمة بالقوّة الكثيرة» (المزمور ٦٧: ١٢). فليس لليهود من الحجة في قبولهم موسى الَّا دون ما للامم في قبول المسيح لانَّ الامر هنا اعظم منهُ هناك كما ان ضوء الشمس اعظم من ضوء السراج. وقد كانت الامم تقتصر على ما عاينوا من الاعاجيب التي عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبها داعية الى قبول المسيح والايمان بكل ما قال هو وتلاميذه عنهُ. هذا ولو لم يكن ناموس موسى والانبياء تنبأوا عليهِ لانهُ كما ان موسى حيث اتى بني اسرائيل صدقوه وقبلوا ما حكى لهم عن الله لِمَا صنع بين ايديهم من تلك الاعاجيب. وان كان لم يكُن احد ممَّن كان قبلُ موسى تنبأ على مجيء موسى ولم يلزمهُ بنو اسرائيل ان يحقق نفسهُ بعد الاعاجيب بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كذلك الامم قد كان بسعيهم ان يؤمنوا بالمسيح ويصدقوه لما صنع من الاعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليهِ. فكم ينبغي ان نقبل المسيح اكثر ممَّا قُبل موسى لشرف ما قد سبق ايضاً من نبوة موسى والانبياء كلهم عليهِ وعلى تدبيره كلهِ من الصلب (اش ٦٥: ٢) والطعن (زكر ١٢: ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع على ثيابه (مز ٢١: ١٧ — ١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠: ٦) وجلد ظهره (مز ٧٢: ١٤) وانهُ بجراحه يفدي الناس من خطاياهم ويداوي امراض ذنوبهم (اش ٥٣: ٥) وانهُ سُقي خلًّا وأُطعم مرًّا (مز ٦٨: ٢٢) ومواضع ما قد ذكرنا معروفة في الانبياء

والعجب منك يا مكابر حيث تكون قد قبلت موسى لاعاجيبهِ المعدودة ولا

تقبل المسيح باعاجيبه التي لا تُحصى ولا تُعدّ. وهذا لو انَّك عَدل قد كان واجباً عليك ان تقبلهُ ولو لم يكن موسى والانبياء تنباوا عليهِ كما قبلتَ موسى باعاجيبهِ ولم تكلفهُ ان يحقق نفسه مع ذلك بنبوة من كان قبلهُ عليهِ. ولو ان موسى كان امرك الّا تقبل نبياً بعدهُ كما امر المسيح النصارى قد كنتَ لعمري معذوراً حيث تشكك بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسهِ الطاهر يرجيك نبيًّا يأتي من بعده (تث ١٨: ١٥ و ١٨) ويأمرك عزيمة بالسمع والطاعة لهُ في كل ما امرك بهِ. وينذرك الموت ان انتَ عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثلهُ واضع الناموس وعهدًا جديدًا. وقد كان ينبغي من هذا القول ان تبطل الانبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي أُمِرْتَ بطاعتهِ كائنًا من كان. وقد اخبرك موسى ان يعقوب تنبأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى ياتيك المسيح الذي هو رجاء الامم (تك ٤٩: ١٠). وبهذا حقَّق الانبياء كلهم الذين قبل المسيح. ثم خصَّ هذا الواحد وامر بطاعتهِ مرارًا عن قول الله فكان ما سبق من اخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضع عهدًا ينبغي الّا يحبسك طرفة عين عن قبول المسيح والايمان بهِ حيث عمل هذه الاعاجيب. وكان يحق عليك ان تتدبر بعقلك فتقول ان النبي الذي امرني موسى بطاعتهِ هو هذا اذ كان يعمل الاعاجيب التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثلها التي لو ان موسى اوقف امرهُ فلم يأمر بطاعته ولم ينهَ عنها قد كانت توجب لهُ عليَّ من العدل ان اقبلهُ بها وحدها ولا اكلفهُ ان يحقق نفسهُ بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كما قبلتَ موسى

كذلك اعلم ان هذا النبيّ هو واضع الناموس وعهدًا جديدًا ولذلك خصهُ بان اوعز اليك بطاعتهِ وردَّد ذلك عليك. فاسمع الى قول الله في ارميا النبي: انها ستأتي أيام يقول الرب اني اشترع لبني اسرائيل ولبيت يهوذا عهدًا جديدًا لا كالعهد الذي اشترعت لهم اذ اخرجتهم من ارض مصر (ار ٣١: ٣١). وقال داود للرب: أَقِم لهم يا رب واضع ناموس لتعلم الامم انها اناس (مز ٩: ١١)

فان قلتَ: انَّ أسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمونهُ المسيح فيهم وفي أيامهم قد تلفوا وانا لست اعلم انهُ عمل عجباً. قلنا لك: انَّ بيان ذلك قريب منك اذا حسنت نيَّتُك في خلاص نفسك. وينبغي لك ان تعلم ان المسيح قد عمل هذه الاعاجيب التي ذكرنا من قبول الامم اياهُ وحملهِ اياهم على كل ما يخالف عتوهم

واهواؤهم وشهواتهم ونقلهُ اياهم من رخاء الى شدّة ومن هملٍ الى حصر ومن سعة الى ضيق ومن الرخص الى التشديد ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم الى هجران الدنيا باسرها في شانه ورفض لذات الجسد وفخر الدنيا وان يُقدموا على القتل انفسهم بكل نوع من العذاب والمكاره على ألّا يكفروا بهِ. وقال لهم: من كفر بي بين ايدي الناس كفرت انا بهِ بين يدي ابي الذي في السموات. وقال: انظروا ما قلتهُ لكم في السرّ فأعلنوهُ انتم على الاجاجير ولا تخافوا من يقتل البدن ولا يستطيع ان يقتل النفس ولكن خافوا من يستطيع ان يقتل النفس والبدن جميعاً ويلقيهما في نار جهنم. وقال: من اهلك نفسه في شاني وجدها في حياة الابد. وقال: من اتبعني ولم يبغض اباهُ وامهُ واخَوتهُ واخواتهِ وولدهُ وانسباءهُ فليس لي باهلٍ. وقال: اني مخليكم كالخراف بين الذئاب. وان الدنيا تكون في سرور وانتم في حزن. وانهـا ستأتي ايّام من يقتلكم يرى انهُ يقرّب لله ذبيحة

واشترع عليهم ان يباشروا هم قتل انفسهم في المثـل بقطع شهواتهم واستئصال اهوائهم. وقال. من لطمك على خدك فحوّل لهُ الآخر. ومن سلبك رداءك فزدهُ ثوبك. وان انت نظرت الى امرأة كي تشتهيها فقد زنيت بها في قلبك. وان قلت لصاحبك راقا او احمق فقد وجبت عليك نار جهنم. وقال: سمعتَ انهُ قيـل للاوّلين احبب مُحبّك وابغض عدوّك فانا اقول احبوا اعداءكم واحسنوا الدعاء لهم. وما شاكل ذلك

فاخبرني يا هذا كيف تظن ان الامم قبلت المسيح على هذه الشدة والموت الذي قد اشترعهُ عليهم ولاسيما مع شنع ما نسبهُ الى نفسهِ من الصلب والاوجاع والفضيحة. وان اعداءهُ شتموه وسمّروا يديهِ ورجليهِ وعلّقوهُ على خشبة وسقوه خلًّا واطعموه مرًّا حتى رشح منهُ عرق خاثر كالدم. وانهُ قال وهو على الصليب: الهي الهي لمَ خذلتني. فان هذا الامر ينبغي ان ينفّر السامعين كلّهم من اتباع المسيح ومن اتخاذهِ الاهًا كما قد اتخذتهُ الامم كلها. وهذا معروف انهُ لم يكن يُقبل ابدًا لولا ان هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ قد عملت حقًّا. وهي التي كانت تقهر العقول وتضطرها الى قبول المسيح والايمان بهِ لامحالة

ولو ان المسيح كانت همتهُ الغرور لكان ينبغي لهُ ولو كان لقي هـذه الامور التي ذكرنا ان يامر تلاميذه بكتمانها الامم وان يعظموه عندهم ويجتلوا امرهُ. وكان قولهُ

ان يطمعهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم الى المسارعة اليهِ . ولكن لم يفعل هذا وحاشا لهُ ذلك . بل شنّع نفسه عند من دعاهم الى الايمان بهِ وكلّفهم القتل والموت في شانه

او ليس هـذا العجب . انَّ موسى دعا الله فعظَّم الله وقال : « ان الله خلق السماء والارض وانهُ فوق السموات » واتى ذلك من تمجيـد الله واجلالهِ في كل نحوٍ . وبدأ يخلّص بني اسرائيـل بان فكّهم من عبوديَّة فرعون وشقَّ لهم البحر واحدر لهم المنّ والسلوى . وفجر لهم الماء من الصخور . وقتل لهم الامم . وقال لهم ان الله سيقويكم فتقتلون امم الشام وتستحوذون على بلادهم وترثونها . واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتّبعهُ احد من الامم ولا قنع بنو اسرائيل بقوله ولا آمنوا بالههِ بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحتـهُ ودخن وادخل الروع في قلوب بني اسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا . وتلاميذ المسيح خرجوا فشنّعوا عندهم على المسيح بهذه الاوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يُظنّ انهُ وهنّ وكلّفوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فاجابهم الخلق . ومن لا يعلم ان هذا لم يكن الَّا من شرف الاعاجيب التى كانوا يعملونهـا باسم المسيح التي هي ارفع من اعاجيب موسى كما ان السماء ارفع من الارض

ولا تستطيع ان تقول يا هـذا ان الامم انما اتّبعت المسيح تعصُّباً لقرابة كانت بينهم وبينه . فهذا عليك انت ولقد كان الانسان جديرًا ان يولج هـذه التهمة عليك بانك اتّبعتَ موسى تعصُّباً لهُ لانهُ كان منك ولتشرُّف بدولتهِ وتعتزّ بملكهِ الذي اعطاه الله . فامَّا الامم فانهُ لا سبيل لشيء من هذه التهمة ان تدخل عليهم في اتباعهم المسيح لان التلاميذ الذين دعوهم كانوا من اليهود وانما دعوهم الى من كان في ظاهر امره من اليهود وكان ينبغي ان يدعوهم ذلك الى الاقشعرار والنفـار منهُ لان اليهود كانوا اعداء الامم كلها ولم يشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزًّا بل خلاف ذلك كلهِ . اذًا اعلم يا يهودي ان هذه الامم كلها لم تتّخـذ المسيح الاهاً ولم تدِنْ لهُ بهذه الطاعة التي تبلغ مهج النفوس في كل يوم الَّا بهذه الاعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين ايديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الامم اتّبعت المسيح بالجهل . فان كان هذا كذلك عندك

فاحمل ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرضها واذهب أقنع بها ولو رجلًا واحدًا من الجهّال ولكن لست تقدر على هذا بل الجهال اشد نفارًا من قبول هذا الامر من غيرهم لان الجاهل انما همتهُ شهوتهُ كالبهيمة. واقرب الكلام الذي يشربه عقل الجاهل ما كان مموَّهاً سوقيًّا. ولقد كان دينك يا هذا اولى ان يقبلهُ الجاهل من دين النصارى لما في دينك مما ذكرنا من تعظيم الله واجلاله جهارًا والارعاب منهُ ولما فيهِ من الرخص والطمع في الملك والعزّ والعسل واللبن وتزويج النساء الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الامم وانك ستُحمَل كما زعمتَ على رقابهم ويكونون لك عبيدًا وبناتهم اماء وانك ستبني لك مدينةً وهيكلًا بالزمرُّد والياقوت. هذا الى مثله يغرّ الجهّال وفي مثله يطمعون. ولو خرج احد يدعو الى هذا ويضمنهُ للناس لما كان عجباً ان يتبعهُ الناس ولاسيَّما اذا هبَّت لهُ ادنى ريح من دولة يُعطاها كما قد رأيناه يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الامم التي اتَّبعت المسيح انما كانوا حكماء فحكمتهم هي التي دعتهم الى اتباعه. فانهُ ينبغي لك ان تكون تبعاً لهم اذ نسبتَهم الى الحكمة مع ان هذا الامر الشنيع الذي يوصف بهِ المسيح ويُنسب اليهِ لا يقبلهُ حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتقنعها ان المسيح اله كما قال مار بولس انهُ ليس احد يقدر ان يقول ان المسيح رب الّا بروح القدس. وان لم تصدّق بهذا فاحمل دعوة المسيح الى كل حكيم من حكماء الدنيا وأقنع بها ولو واحدًا منهم. ولكن لا تستطيع لان حكمة الدنيا انما همتها فخر الدنيا وألّا تصدّق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون عقل العامة والتجمل بصفاقة الكلام والغرور بحلاوة الكلام. ودعوة المسيح خلاف لهذا كلهِ. ولكن الامر كما قال بولس انهُ بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة فاحبَّ الله ان يخلّص من الذين يؤمنون بحمق الدعوة (١ كور ١ : ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم اوساطاً فقد تقول ما لا يكون لان اوساط العقول غايتها الحزم في امور الدنيا الظاهرة وألّا يقبلوا الّا شكيلًا لما قد اختبروه قديماً مما ادَّت اليهِ التجارب والحواسّ. ودعوة المسيح لا يمكن ان يُبشَّر بها هذه العقول بل هي تشمئز منها وتستجفيها جدًّا (البقيّة للآتي)